ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of Tourism and Hospitality

دراسة حول أصل دعامات جامع أحمد بن طولون و دلالاتها التاريخية (٢٦٣-٢٦٥هـ/٨٧٦-٨٧٩م)

ابراهيم عامر

- استاذ مساعد – قسم الارشاد السياحى – المعهد المصرى العالي للسياحة والفنادق.

تقديم :

عندما آل حكم مصر و الشام لأحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م) واعترفت الخلافة العباسية بإستقلاله[١]، حرص أحمد بن طولون على الظهور فى صورة الحاكم المستقل، و أكد ذلك ببنائه عاصمة جديدة فى الجزء الواقع إلى الشمال الشرقى من مدينتى الفسطاط والعسكر، وأسماها القطائع و عمرها عمارة حسنة و جعلها مدينة متكاملة المرافق ، وشيد بوسطها مسجداً كبيراً هو المعروف اليوم بإسم جامع أحمد بن طولون [٢] .

©2011 World Research Organization. All rights reserved
Keywords:. Mosque of Ahmad Ibn Tulun , historical implications.
Citation: Ibrahim Amer, **(2011),** Study on the origin of the pillars of the Mosque of Ahmad Ibn Tulun and the historical implications (263-265 AH / 876-879 AD), No.17 -2 (11) 30 – 46 .

(١) البلوى : سيرة أحمد بن طولون . حققها و علق عليها محمد كرد على . طبع الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة . كتاب الذخائر . العدد (٥٥) . سنة ١٩٩٩م . ص ٥٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة . ١٦ جزء. عن مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٩ – ١٩٣٢م . جـ ٣ . ص ٩٦ .
Lane – Poole (S) : Ahistory of Egypt in the middle ages . 4 th edition . 1925 . P P 59 – 71.

(٢) المقريزى : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار . جزءان . طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ . جـ٢ . ص ص ٢٦٥ – ٢٦٩، فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية . عصر الولاة . المجلد الأول . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠م. ص ٣٩٧ .

ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

على أنه إذا كانت مدينة القطائع قد اندثرت ، فإن جامعها مازال باقيا يشهد على سمو العمارة والفنون فى ذلك العهد ، و جامع بن طولون هو ثالث جامع رسمى للدولة شيد بمصر، و قد بدأ بناؤه فى سنة (٢٦٣هـ/٨٧٦م) ، و انتهى من عمارته سنة (٢٦٥هـ/٨٧٩م) ، و تدل الشواهد المعمارية الأثرية أنه قد تأثر فى عمارته إلى حد ما بعمارة مسجد سامراء الكبير و مسجد أبى دلف بذات المدينة ، و هو على عكس ما ذكره القضاعى و نقل عنه ابن دقماق و المقريزى بقولهم أن مسجد ابن طولون بُنى وفق طراز مسجدى سامراء السابقين ، فهو لا يشبههما عدا إشتراك الثلاثة فى ظاهرة الزيادات الخارجية[٣] .

فهو يختلف عن مسجد سامراء الكبير فى عدد بلاطات الظلات ، أما مسجد أبى دلف فبوائكه تسير عمودية على جدار القبلة لا موازية له كما فى مسجد ابن طولون ، كما أن مسجد ابن طولون يختلف أيضا عن مسجد سامراء الكبير فى أن سقفه يرتكز على عقود بدلاً من الارتكاز مباشرة على الدعامات دون وجود عقود[٤] (أشكال ١، ٢، ٣) .

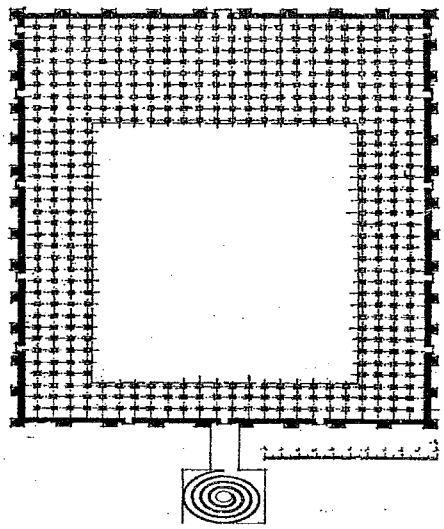

(شكل رقم ١) جامع سامراء الكبيرعن فريد شافعى

[٣] ك . كريزويل : الآثار الإسلامية الأولى . نقله إلى العربية عبد الهادى عبلة ، و حققه و علق عليه أحمد غسان سبانو . طبعة دمشق سنة ٢٠٠٦م . ص ٤١٨ .

[٤] ك . كرزويل : المرجع السابق نفس الصفحة .

ISSN 1687-708X
Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

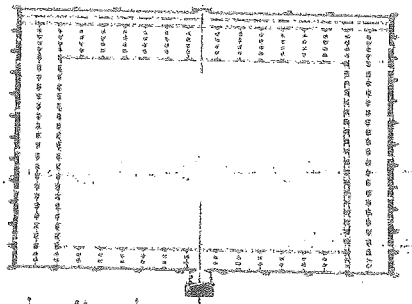

(شكل ٢) جامع ابى دلفعن فريد شافع

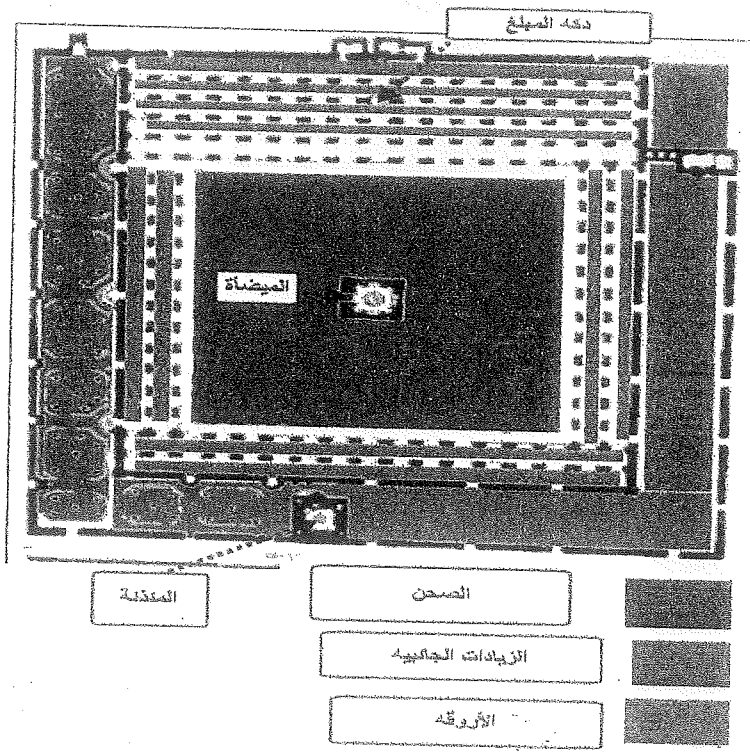

(شكل رقم٣) مسقط أفقى لجامع أحمد بن طولون عن لجنة حفظ الآثار العربية

ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

الدعامات و مدلولاتها التاريخية :

الدعامات كالأعمدة عنصر معمارى إنشائى مهم كونها من العناصر الحاملة ، وقد استخدمت قبل الإسلام كعنصر إنشائى فى حمل عقود القناطر ، كما فى بقايا قناطر (شوستر) التى تعود إلى زمن الملك الفارسى شاهبور الأول ، الذى حكم بلاد فارس فى ما بين عامى (٢٤٠ – ٢٧١ م) .و استعملت أيضا فى تشييد القصور الساسانية مثلما فى قصر سرفستان ، الذى يعود للقرن الخامس او السادس الميلاد

و فى العصر الإسلامى وجدت الدعامات فى عدد من العمائر الإسلامية ، منها قصر الأخيضر بالعراق الذى شيد سنة (١٥٦ هـ / ٧٧٢م) فى عهد الخليفة ابى جعفر المنصور[١]، فهى تتقدم البيوت الأربعة الملحقة بالقصر ، و كذلك تحمل عقود بوائك المسجد الموجودة بذات القصر ، والدعامات كلها مبنية بالحجر و تأخذ هيئة مستديرة [٢] (صورة رقم ١) .

---

[١] هناك خلاف بين علماء الآثار حول تاريخ قصر الأخيضر ، فقد نسبه البعض إلى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ/٧٥٣ – ٧٧٤ م) ، فى حين نسبه البعض الآخر إلى فترة حكم الخليفة هارون الراشيد (١٧٠-١٩٣هـ/ ٧٨٦-٨٠٨م). و لكن حسم الأمر و تأكدت نسبته إلى زمن حكم أبى جعفر المنصور، حينما عثرت أثناء عملى فى ترميم و حفائر قصر الأخيضر سنة (١٩٨٣م) على درهم من الفضة مؤرخ بسنة (١٥٦هـ) و هى تقع فى سنى حكم ابى جعفر المنصور .

[٢] محمد على مهدى : الأخيضر . طبعة بغداد سنة ١٩٧٠ م . ص ص ٩ ، ٤٢ .

ISSN: 1997-163X
Egyptian Journal of Tourism and Hospitality

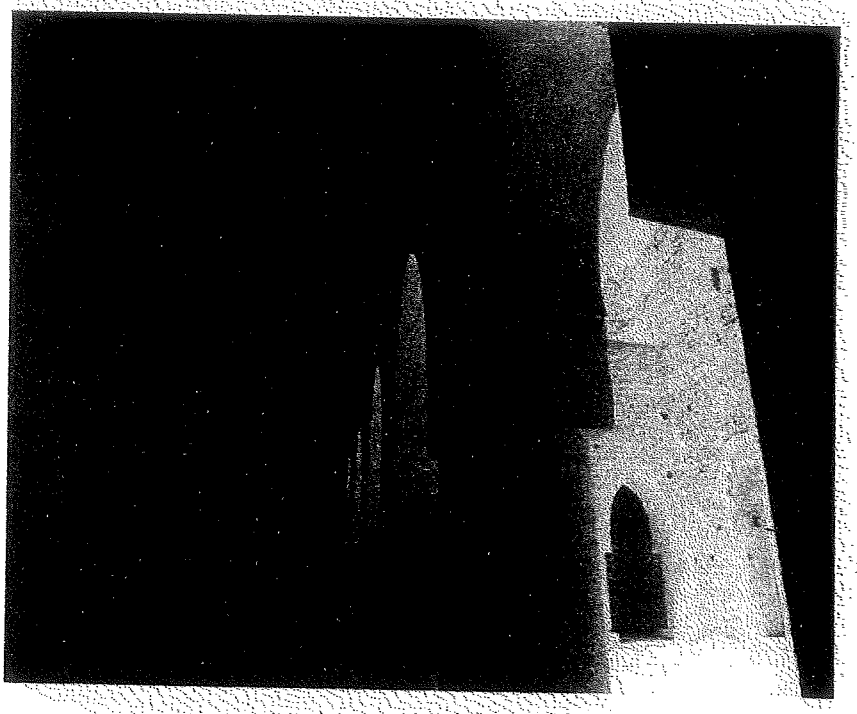

(صورة رقم١) الدعامات بالمسجد الملحق بقصر الأخيضر

واستخدمت الدعامات ذات المسقط المستطيل في المسجد القديم بمدينة الرقة الواقعة إلى الشمال الشرقى من سوريا ، و التى شيدها ابو جعفر المنصور سنة (١٥٥هـ/٧٧٢م)[١] (صورة رقم٢). و استخدمت ايضا فى مسجدى سامراء الكبير و ابى دلف بمدينة سامراء ، و فى مسجد القطائع و قناطر المياه زمن حكم ابن طولون فى مصر (صور رقم ٣ ، ٤) .

[١] ك . كريزويل : المرجع السابق . ص ٢٥٤ .

ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

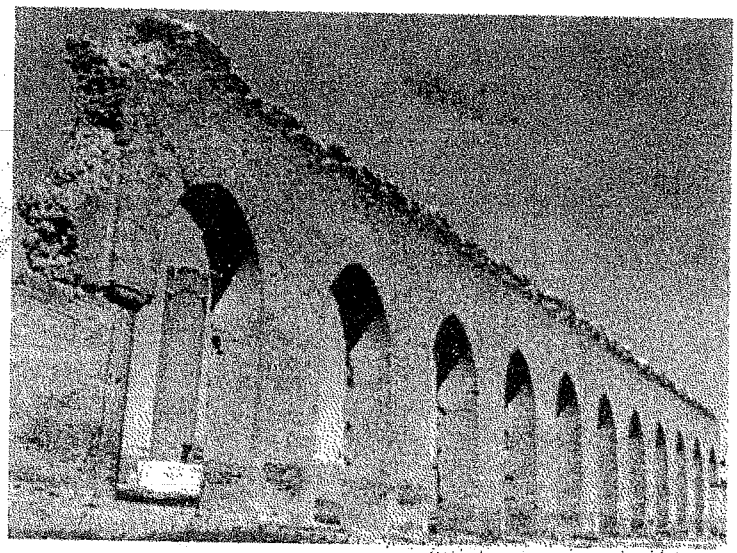

(صورة رقم٢) الدعامات فى المسجد القديم بمدينة الرقة

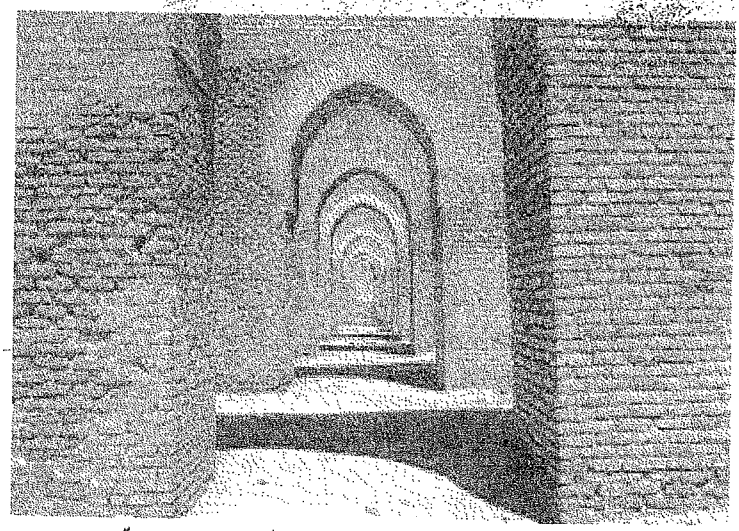

(صورة رقم ٣) جانب من دعامات و عقود جامع أبى دلف بمدينة سامراء

ISSN: 1687-1634
Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

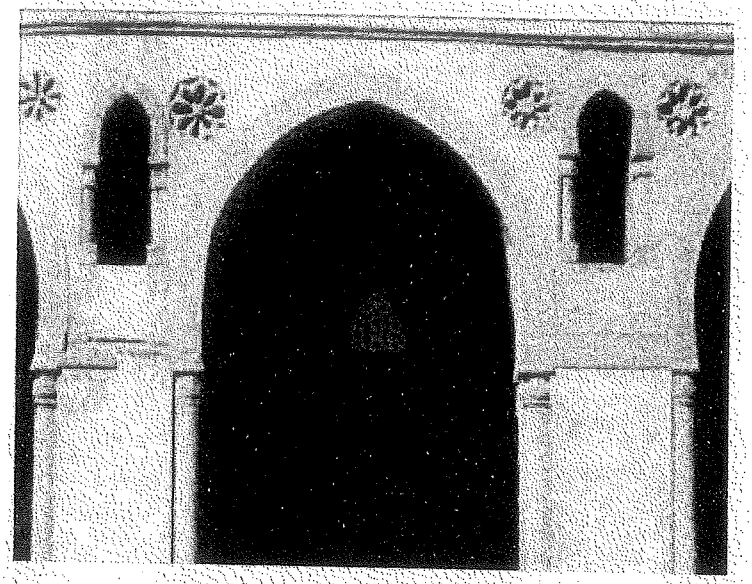

(صورة رقم٤)جانب من الدعامات المخلق بنواصيها أعمدة من جهه الصحن بجامع أحمدبن طولون

الدعامات فى جامع بن طولون :

و إذا أفردنا الحديث عن الدعامات فى جامع ابن طولون التى هى موضوع البحث[1]، نجد أن الدعامات قد حلت محل الأعمدة فى حمل عقود الجامع ، و يبلغ عددها (١٦٠) مائة وستون دعامة مستطيلة المسقط مبنية بالآجر (الطوب الأحمر) ، و فى أركان كل دعامة مخلق عمود شيد أيضا بالآجر ، و له قاعدة مستديرة ، و تاج ناقوسى (رمانى) الشكل مكسى بالجص المزين بزخارف نباتية .

و فى هذا الصدد يقول كريسويل : " و دعاماته فقط هى التى تذكرنا بدعامات سامراء، بينما دعامات الأول (يقصد جامع سامراء الكبير) مربعة و فيها أعمدة رخامية نصف ظاهرة فى

(1) لن أتصدى فى هذا البحث لتاريخ و عمارة جامع أحمد بن طولون بكامله ، فقد عالجت كتب كثيرة هذا الموضوع

ISSN: 1687-183X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

الزوايا أما دعامات مسجد ابن طولون فهى مستطيلة و الأعمدة الركنية من الآجر[1] " (شكل رقم٤،٥) .

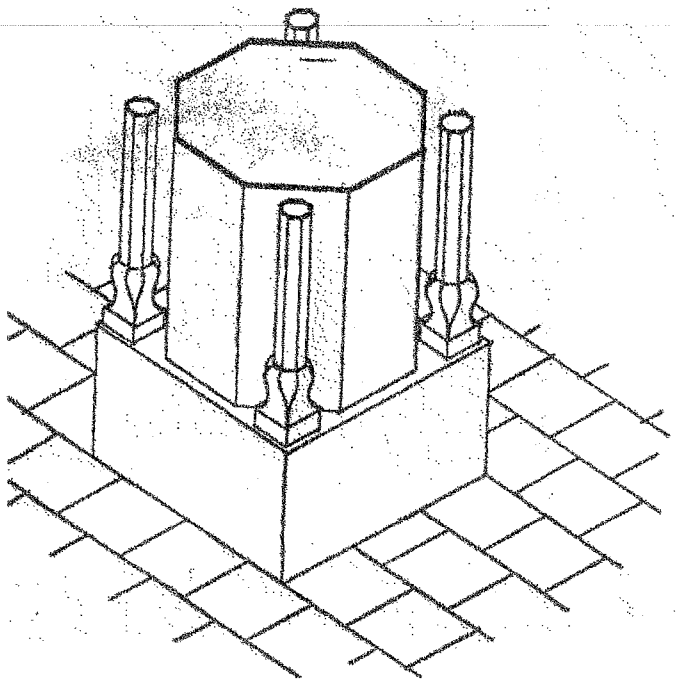

(شكل رقم٤) إحد دعامات جامع سامراء الكبير عن فريد شافعى

[1] ك . كريزويل : المرجع السابق نفس الصفحة ،
K . A . C . Creswell : Early muslim architectura . vol 2 . Oxford 1932 . p p 228 – 231 .

ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

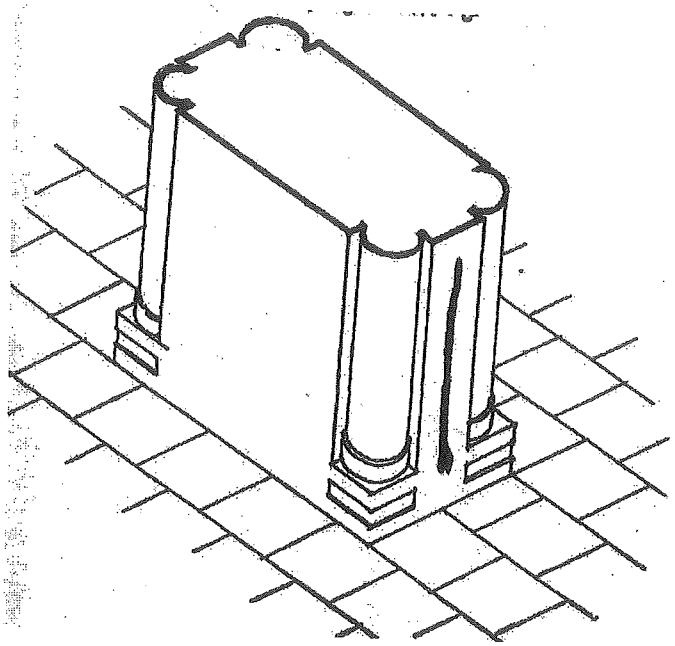

(شكل رقم ٥) إحد دعامات جامع ابن طولون عن فريد شافعى

ما سبق يوضح أن إستخدام الدعامات أدى إلى توفير عدد كبير من الأعمدة ، كما أنها إحدى تأثيرات مدينة سامراء التى شيدها الخليفة المعتصم العباسى إلى الشمال من مدينة بغداد سنة (٢٢١هـ/ ٨٣٦م) [١] .

[١] حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية . جزءان . طبعة سنة ١٩٤٦م . جـ١ . ص ١٣٥ ، أحمد عبد الرازق أحمد : العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى و الفاطمى . الطبعة الأولى . سنة ٢٠٠٢م . ص ١٠٤

ISSN 1687-150X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

أصل دعامات جامع ابن طولون :

و إذا كانت هذه هى الحقيقة الشائعة بين الباحثين و مؤرخى الآثار ، فهى حقيقة منقوصة. حيث لم يشر أحد من مؤرخى الآثار الإسلامية إلى أن عنصر الدعامة المخلق بنواصيها أعمدة قد وجد من قبل فى إيران فى مسجد فهرج (صورة رقم ٥ ، ٦) . فى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى ، و من المؤكد أنه إنتقل إلى سامراء مع المهندسين و المعماريين الإيرانيين الذين توافدوا مع غيرهم من الصناع و المعماريين من مختلف البلاد (الولايات)الإسلامية ، الذين أرسل الخليفة المعتصم فى طلبهم للمشاركة فى تشييد مدينة سامراء [١].

ثم إنتقل هذا العنصر إلى جامع أحمد بن طولون عن طريق أحد المعماريين الإيرانيين أو العراقيين الذين قدموا إلى مصر زمن ابن طولون ، للمشاركة فى تشييد عمائره بناء على طلبه أو سعيا وراء الرزق . و ربما يكون قد شيده أحد المعماريين المصريين الذين شاركوا فى تشييد مدينة سامراء . و قد رأى هذا العنصر فى جامع سامراء الكبير و جامع أبى دلف فطبقه و نفذه فى جامع ابن طولون الذى كان يريد التشبه ببلاط الخلافة فى كل شىء ، و لعل مرجع ذلك حبه لمدينة سامراء التى ولد و نشأ بها ، و من جهة أخرى أنه كان يرغب فى نقل الخلافة إلى مصر [٢] ، لذا سعى إلى جعل عاصمته تقارب بل و تطابق فى مظاهر عمرانها إلى حد كبير مدينة سامراء، حتى لا يشعر الخليفة المعتمد الذى كان على صلة طيبة به بأى تغيير يشعره بالغربة إذا ما قدر له القدوم إلى مصر.

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان . عشرة أجزاء . طبعة القاهرة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٦ م . جـ٣ . ص ص ١٧٣ – ١٧٤ ، المسعودى : مروج الذهب و معادن الجوهر . طبعة سنة ١٣٤٩هـ . جـ٤ . ص ٥٥ ، اليعقوبى : كتاب البلدان . طبعة دى غويه – ليدن ١٨٩٢م . ص ص ٢٢ – ٣٢ ، ٢٥٥ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم و الملوك . ثمانية أجزاء . طبعة القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م . جـ٧ . ص ١٠٧ ، عبد الرحمن الرافعى و سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى . طبعة سنة ٢٠٠٠م . ص ص ٩٣ ، ٩٨ .

ISSN 1687-1697

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

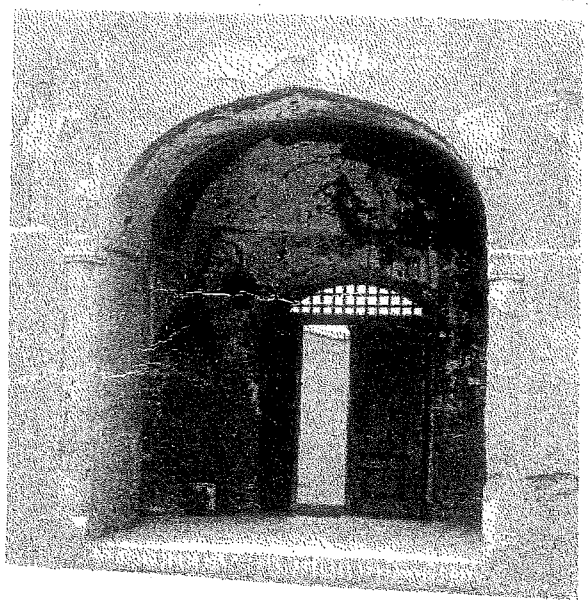

(صورة رقم ٥) دعامات مسجد فهرج مخلق بنواصيها أعمدة (تصوير الباحث)

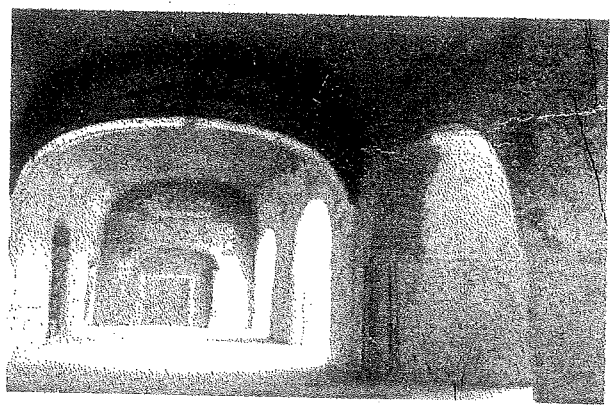

(صورة رقم٦) دعامات و عقود مسجد فهرج(تصوير الباحث)

ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

مدينة فهرج و مسجدها :

و فهرج مدينة إيرانية قديمة ذكرها الإصطخرى فى كتابه المسالك و الممالك فقال : "مدينة فهرج من المدن الواقعة فى كورة اصطخر [١] ". و فهرج حالياً ناحية من نواحى يزد الإيرانية، و أسمها القديم هو (بهره) و قد عرب إلى فهرج [٢] . و جاء ايضا فى تاج العروس:" فهرج كورة فى إصطخر من بلاد فارس على أطراف المفازة و هو معرب فهره [٣]" .

وبالمدينة مسجد قديم من أقدم المساجد الإيرانية التى مازالت باقية حتى الآن ، و لم يصبها أى تغيير فى تكوينها المعمارى و يرجع تاريخ إنشائه إلى القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى[٤]. وهو يتبع فى تخطيطه المساجد الجامعة الإسلامية الأولى (شكل رقم ٦) التى تأثرت بعمارة مسجد الرسول ، و لم يتأثر فى تخطيطه بالمعابد الزرادشتية أو القصور الساسانية ، بل أنشأ على نمط الفن المعمارى الإسلامى (أشكال ١،٢،٣) .

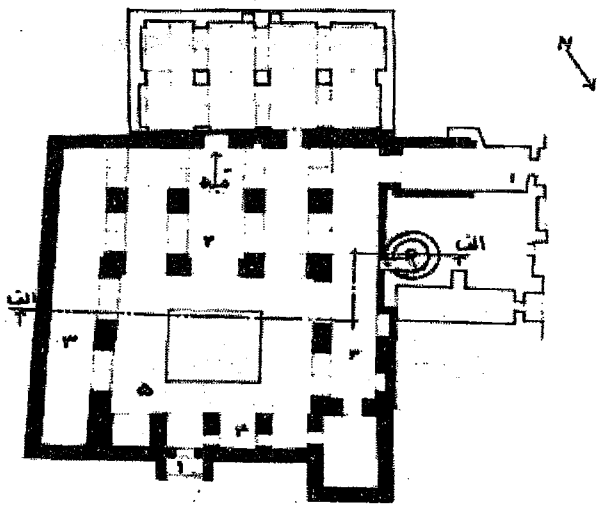

(شكل رقم٦) مسقط أفقى لمسجد فهرج عن سيد كمال حاج سيد جوادى

---

(١) الإصطخرى : المسالك و الممالك . تحقيق جابر عبد العال الحينى . طبعة القاهرة ١٩٦١م . ص ١١٦ .

(٢) سيد كمال حاج سيد جوادى : مساجد إيران . دراسة تاريخية حضارية آثارية فنية . الجزء الأول . (منذ القرن الأول – حتى القرن السابع الهجرى) . طبعة طهران سنة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م . ص ٦٥ .

(٣) الزبيدى : تاج العروس . (٢٦) جزء . جـ٥ . ص ١٤٨٦ .

(٤) سيد كمال حاج سيد جوادى : المرجع السابق . نفس الصفحة .

ISSN: [illegible]

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

وهو يتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربع ظلات ، أكبرها و أهمها ظلة القبلة التى تتجه جهة الجنوب الغربى ، و هى تتكون من خمس بلاطات متساوية المساحة ، وعقودها عمودية على جدار القبلة ، و ذلك بواسطة أربعة صفوف من الدعامات المستطيلة مخلق بنواصيها أعمدة – كالتى فى جامع ابن طولون – (صورة رقم ٤، ٧) . و تحمل فوقها عقوداً بدائية من النوع المدبب ذى المركزين التى كانت تستعمل فى إيران فى ذلك الوقت (صورة رقم ٥ ، ٦) ، و هو نفس النظام الذى يوجد فى بوائك الظلات الثلاثة الأخرى التى تتكون كل منها من بلاطة واحدة (شكل رقم ٦) .

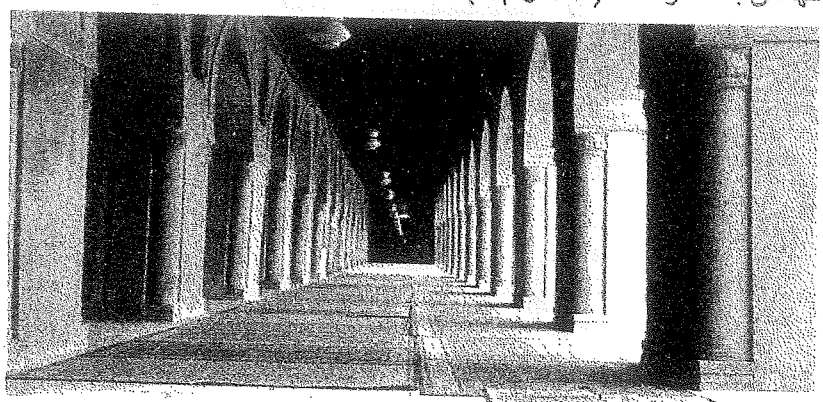

(صورة رقم٧) توضح الدعامات المخلق بنواصيه أعمدة بظلة القبلة

و للمسجد باب رئيسى يقع بالجهة الشمالية الغربية ، مجاوراً لمئذنة المسجد الإسطوانية الشكل التى أضيفت للمسجد بعد إنشائه ، حيث لم يتغير تخطيط و عمارة المسجد الأصلى كما سبق ذكره إلا فى جداره الشمالى الغربى من الخارج ، حيث أضيفت المئذنة السالفة (شكل رقم ٧ ، صورة رقم ٨) .

ISSN: 1997-163X
Egyptian Journal of Tourism and Hospitality

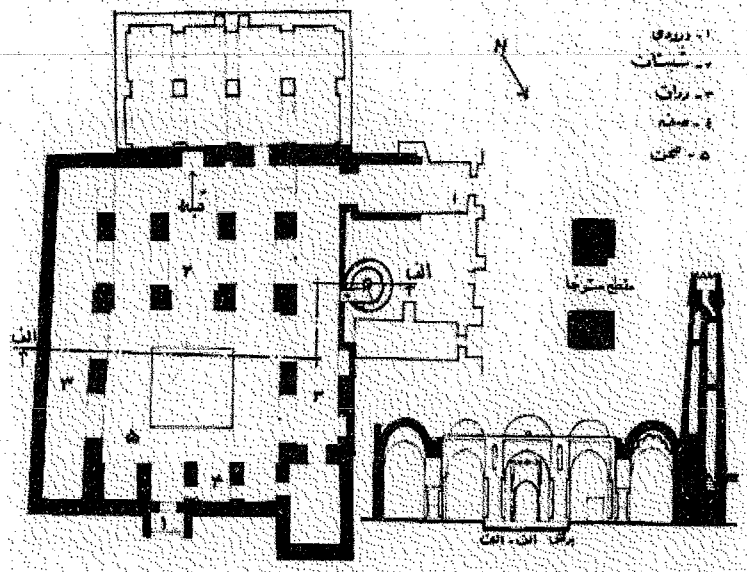

(شكل رقم٧) يوضح موقع مئذنة مسجد فهرج التى أضيفت للمسجد

(صورة رقم٨) توضح شكل مئذنة مسجد فهرج

المغرضون و دعامات مسجد ابن طولون :

و على الرغم من الحقيقة السابقة التى تجلو الشك و الريبة ، و توضح أن الدعامات فى جامعى سامراء بالعراق ، و جامع ابن طولون فى مصر ، متأثرة بالدعامات المخلق بنواصيها أعمدة فى جامع فهرج ، إلا أن الدعامات فى جامع ابن طولون قد ارتبطت ببعض الأساطير ، التى كانت تُدس على المؤرخين و الكتاب فى العصور الوسطى ، فينقلونها و يرددونها دون تحقيق أو تمحيص[1] . و الغرض منها النيل من الإسلام و المسلمين و قد تعرض لذلك بالرد و إيضاح الحقائق الأثرية و المعمارية الدكتور فريد شافعى[2] .

خاتمة البحث :

مما سبق نخلص إلى أن الدعامات المخلق بنواصيها أعمدة فى عمارة المسجد قد عرفتها إيران فى القرن الأول الهجرى ، قبل أن تنقل إلى سامراء فى القرن الثالث الهجرى . و إن الباحث فى التاريخ و الحضارة بصفة عامة عليه أن يبحث دائما على الدليل قبل القرينة ، لأن هناك بعض المؤرخين الذين ينحازون إلى بلادهم أو دياناتهم أو بنى جلدتهم ، دون تبصر لأنه قد سيطر عليهم التعصب مما يُضيع الحقيقة التى قد تكون واضحة وضوح الشمس .

وهناك بعض آخر يحكمون دون أدلة أو براهين أو حتى قرائن ، معتمدين على ما يرويه العامة من قصص و أساطير و روايات متواترة ، خاصة إذا كان هذا البعض ممن تسيطر عليهم الأحقاد، مما يجعله يدس السم فى العسل .

---

(1) فريد شافعى : المرجع السابق . ص ٤٧٣ ، أحمد عبد الرازق أحمد : المرجع السابق . ص ١٠٦ .
(2) فريد شافعى : نفس المرجع . ص ص ٤٠٥ – ٤٠٧ ، ٤٧٣ – ٤٧٧ .

ISSN: 1687-1638

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

المصادر و المراجع

١- ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة . ١٦جزءاً .عن مطبعة دار الكتب المصرية . القاهرة ١٩٢٩ ــ ١٩٣٢م .
٢- البلوى : أبو محمد عبد الله ابن محمد (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م) :
سيرة أحمد بن طولون . حققها و علق عليها محمد كرد على .طبع الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة . كتاب الذخائر . العدد(٥٥) سنة ١٩٩٩م .
٣- الزبيدى : السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ/١٩٧٠م) :
تاج العروس . تحقيق مصطفى حجازى .مراجعة محمد مهدى علام. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية . القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م .
٤- الطبرى :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبرى (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم و الملوك . ثمانية أجزاء . طبعة القاهرة (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) .
٥- المسعودى : أبو الحسن على بن الحسن بن على (ت٣٤٦هـ/٩٥٦م):
مروج الذهب و معادن الجوهر . طبعة سنة ١٣٤٩م .
٦- المقريزى : تقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار .جزءان .طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ .
٧- الإصطخرى : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى . المعروف بالكرخى (ت٣٤١هـ/٩٥٢م):
المسالك و الممالك . تحقيق جابر عبد العال الحينى .طبعة القاهرة ١٩٦١م .
٨- اليعقوبى : أحمد بن أبى يعقوب بن وهب (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م): كتاب البلدان . طبعة دى غويه ــ ليدن ١٨٩٢م .
٩- ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م):
معجم البلدان . عشرة أجزاء . طبعة القاهرة ١٣٢٥هـ/١٩٠٦م.
١٠- أحمد عبد الرازق أحمد : العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى و الفاطمى .
الطبعة الأولى . سنة ٢٠٠٢م .
١١- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية . جزءان . طبعة سنة ١٩٤٦ م .
١٢- سيد كمال حاج سيد جوادى : مساجد إيران . دراسة تاريخية حضارية آثارية فنية .
الجزء الأول (منذ القرن الأول ــ حتى القرن السابع الهجرى). طبعة طهران سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

ISSN: 1997-163X

Egyptian Journal of
Tourism and Hospitality

١٣- عبد الرحمن الرافعى و سعيد عبد الفتاح عشور : مصر فى العصور الوسطى .طبعة سنة ٢٠٠٠م .
١٤- فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية . عصر الولاة . المجلد الأول . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٠م .
١٥- ك.كريزويل: الآثار الإسلامية الأولى . نقلة إلى العربية عبد الهادى عبلة . و حققة و علق عليه أحمد غسان سبانو . طبعة دمشق سنة ٢٠٠٦م.
١٦- مهدى على محمد : الأخيضر . طبعة بغداد . سنة ١٩٧٠م .
17- K.A.C. Creswell : Early muslim architecture . vol 2 Oxford 1932.pp228-231.
18- Lane – Poole (S) : Ahistory of Egypt in the middle ages .the edition . 1925 . pp59 – 71 .